تأمُّلات دبلوماسية
كيف تكوني أفضل سفيرةً لنفسكِ

مارس 2025

السفيرة مارسي جروسمان

هي باحث أول غير مقيم في مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط التابع للمجلس الأطلنطي وسفيرة كندا السابقة لدى دولة الإمارات العربية المتحدة.

لا بديل عن وجود المرأة في المجال الدبلوماسي. فالنساء يحققن التنوّع في وجهات النظر، ويعطين الأولوية للتعاون وحل النزاعات وتمثيل الجميع - وكلها سمات بالغة الأهمية في التعامل مع النظام العالمي. وضمان تكافؤ الفرص أمام المرأة في المستويات القيادية لا يعزز نتائج السياسة الخارجية فحسب، بل يمهد الطريق لعالم أكثر عدلاً وسلاماً وإنصافاً. ومع ذلك، وعلى الرغم من تأثيرهن المثبت، لا يزال تمثيل المرأة دون المنشود في المناصب الدبلوماسية العليا في جميع أنحاء العالم.

وتُصنّف كندا، البلد الذي تشرفت بتمثيله على مدار 22 عاماً، في المرتبة الأولى بين الدول الأفضل أداءً في هذا الشأن، حيث تُشكّل النساء 53% من نسبة سفرائها على مستوى العالم. وكندا هي خير مثال على ذلك، حيث قطعت أشواطاً كبيرة بمرور الوقت. يتماشى هذا التقدم مع تحول كندا نحو "سياسة خارجية نسوية" ويعكس التزامًا قويًا بالمساواة بين الجنسين في المجال الدبلوماسي، بما في ذلك تحقيق التكافؤ في المستويات القيادية العليا.

عند الحديث عن دولة الإمارات العربية المتحدة، البلد الذي عملت فيه كقنصل عام وسفيرة، شهدتُ بنفسي كيف أدت سياسات تمكين المرأة إلى تصنيف الدولة في المرتبة الأولى إقليمياً والسابعة عالمياً في مؤشر التفاوت في المساواة بين الجنسين الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مما يجعل دولة الإمارات العربية المتحدة من أقل الدول في نسبة التفاوت في المساواة بين الجنسين. وتأتي الدولة أيضًا في المرتبة الأولى في تقرير الفجوة العالمية بين الجنسين الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي؛ لأنها تمكنت، من خلال الإصلاحات القانونية والسياسية، من سد معظم الفجوات بين الجنسين.

بجانب الجهود التي تقودها الدول لضمان تمثيل أفضل، فإن تحقيق المساواة بين الجنسين في الدبلوماسية يتطلب أيضًا جهودًا متضافرة من قبل الأفراد. فاعتماد استراتيجيات تعزز القيادة والمرونة وبناء العلاقات والرؤية يمكن أن يزيد من قدرة النساء على مواجهة المشهد المعقد للعلاقات الدولية.

1. التمثيل مهم - كوني سفيرةً لنفسكِ

إن الكيفية التي تحدد بها دولة ما هويتها وتديرها على الساحة العالمية ترسل رسالةً واضحةً حول قيمها وأولوياتها وقدراتها. وتؤثر الهوية المؤسسية للبلد على قدرته على الازدهار - سياسياً واقتصادياً وثقافياً. على سبيل المثال، تتبنى دولة الإمارات العربية المتحدة مبدأ "لا شيء مستحيل" ضمن هويتها، مما سمح لها بجذب خيال العالم، وصياغة آفاق مستقبلية، وإقامة معرض إكسبو على مستوى عالمي خلال جائحة كوفيد19-، وإرسال مسبار إلى المريخ من تصميم فريق من النساء.

ويصدق القول نفسه على الوظائف؛ فأنتِ سفيرة نجاحكِ الخاص. فنحن النساء، غالبًا ما نُقدِّم نقاط قوة فريدة من نوعها على طاولة المفاوضات - الذكاء العاطفي، والتعاون في حل المشاكل والقدرة على بناء توافق في الآراء - وكلها صفات لا غنى عنها في إصلاح عالم ممزق. إن تحديد المرأة لصفاتها الفريدة يبدأ بتحديد نقاط قوتها وقيمها. الوعي الذاتي ليس مهمًا لتطوير مهاراتكِ القيادية فحسب، بل هو أيضًا مفتاح مرونتكِ. فالرحلة الدبلوماسية تتخللها تحديات جمّة، ولا سيما بالنسبة للنساء، ومعرفة نفسكِ هي الخطوة الأولى لتحقيق إمكاناتكِ. فكلما قمتِ بتحديد مهاراتكِ وصقلتيها، تمكنتِ من التحكم في كيفية النظر إليكِ وخلق فرص للتقدم الوظيفي. تقع على عاتقكِ مسؤولية التأكد من أن تواصلكِ - اللفظي وغير اللفظي - يتماشى مع تطلعاتكِ المهنية.

2. كوني المدافعة عن نفسكِ - كوني سفيرة نجاحكِ

على غرار الدبلوماسيين الذين يدافعون عن مصالح بلادهم، عليكِ أيضاً أن تبادري بالدفاع عن أهدافكِ وإنجازاتكِ المهنية. إن التعبير عن نفسكِ ضروري في مهنة من المهم فيها الظهور والتأثير. ينبغي علينا كنساء أن نكون أكثر حضورًا وأن نكون استراتيجيات وأن ندافع عن مكانتنا في العالم المهني. عندما بدأتُ مسيرتي المهنية في المجال الدبلوماسي، تطوعت في كل وظيفة لم يرغب فيها أحد؛ لأنني كنت أعلم أن ذلك سيساعدني على المدى الطويل في بناء طموحي الشخصي والتقدم في مسيرتي المهنية. العنصر الرئيس هو المبادرة، وأن تستغلي نقاط قوتكِ وتغتنمي الفرص، خاصة تلك التي قد يغفلها الآخرون.

إحدى الطرق التي يمكنكِ من خلالها الدفاع عن نفسكِ هي أن تسجلي إنجازاتكِ وأن يكون لديكِ ما يشبه "مفكرة الكفاح" في جيبكِ توضح ما تستطيعين تحقيقه، وقصة يتذكرك الناس بها. يمكن أن تكون "مفكرة الكفاح" إنجازاً عظيماً أو يمكن أن تصف كيف تغلبتِ على الشدائد أو واجهتِ تحدياً صعباً أو تعاملتِ مع موقف صعب. تذكري أن الفرص لن تبحث عنكِ إذا التزمتِ الصمت. صوتكِ ومساهماتكِ وطموحكِ يستحق أن يُرى ويُسمع. كوني أنتِ المدافعة عن نفسكِ لضمان تقدمكِ وكوني سفيرة نجاحكِ الخاص.

3. تشكيل تحالفات قوية: ابني شبكاتكِ ودوائركِ

التحالفات في المجال الدبلوماسي بالغة الأهمية لتحقيق النجاح. سواءً أكان التفاوض على صفقة تجارية أو تمرير تصويت في الأمم المتحدة، نادراً ما يتحقق النجاح دون دعم الآخرين. فكّري في دولة الإمارات العربية المتحدة مرّة أخرى هنا: في عالم متعدد الأقطاب يتصف بالغموض السياسي والحروب التجارية بين القوى الكبرى في العالم، تمكنت دولة الإمارات من إقامة علاقات متينة واستراتيجية مع الجميع. وهي تسعى جاهدةً من أجل الوئام والسلام وتستفيد من علاقاتها وشبكاتها للسعي لتحقيق هذين الهدفين.

الأمر نفسه ينطبق على حياتكِ المهنية. يجب على كل دبلوماسي طموح أن يحيط نفسه بمجموعة من الحلفاء الموثوق بهم - من مشرفين ومدربين وزملاء وشبكات علاقات؛ لكي تساعده على دعم نموه وخلق الفرص. وينطبق هذا الأمر تحديدًا على النساء اللاتي غالباً ما يحتجن إلى بذل جهد أكبر لإثبات مصداقيتهن. ومع ذلك، فإن النساء يتفوقن في بناء علاقات عميقة ومفيدة، وعند الاستثمار في العلاقات المهنية طويلة الأمد، فإنهن مناسبات تمامًا لإنشاء نظام دعم قوي للتقدم في حياتهن المهنية.

إن بناء هذه التحالفات والمحافظة عليها يقتضي استثمار الوقت في إنشاء شبكات العلاقات الرسمية وغير الرسمية على حد سواء، ويشمل ذلك حضور الفعاليات والانضمام إلى المنظمات المهنية والمشاركة في برامج الإرشاد. التحالفات القوية تُبنى على الثقة، ومن خلال إظهار الموثوقية والتعاون باستمرار، فإنكِ تنشئ شبكة تدعم نجاحكِ. ركّزي على تنمية علاقات متبادلة - تقديم الدعم عند الحاجة وطلب التوجيه في المقابل. النساء في المجال الدبلوماسي عليهن أن يجدن حلفاءهن ويكونن سفيرات لشبكاتهن ومجتمعاتهن.

4. فكري على المدى البعيد- النظر إلى الأمام

مثلما يسعى الدبلوماسيون إلى تحقيق مصالح وطنية طويلة الأمد، فإن بناء مهنة والحفاظ عليها على مر الزمن هو مفتاح النجاح على المدى البعيد. وكما يقول المثل: "روما لم تُبنَ في يوم واحد"، وكذلك الحال بالنسبة للوظائف - خاصة بالنسبة للنساء. فالوظائف الدبلوماسية تتطلب ساعات عمل طويلة وضغطاً كبيراً وسفراً وتنقلاً في أماكن أخرى، والمرأة مؤهلة لذلك تمامًا. ومع ذلك، فإن النساء يواجهن أيضًا "ضريبة عبء إضافي بنسبة 50%" على عملهن المدفوع الأجر، مما يعني أن النساء يؤدين أعمال رعاية غير مدفوعة الأجر أكثر من الرجال بمقدار 2.5 مرّة على مستوى العالم، سواءً كان ذلك في صورة ترك العمل لتربية الأطفال أو القيام بواجبات منزلية إضافية أو رعاية الوالدين المسنين. هذا الخلل هو أحد العوائق التي تحول دون وصول النساء إلى مستوى السفراء.

غالبًا ما أتحدث عن رحلتي المهنية الخاصة مع التذكير بأنه "يمكنكِ الحصول على كل شيء، ولكن ليس كل شيء في الوقت ذاته." إذا كنتِ تريدين الزواج والأطفال والوظيفة والصحة والسعادة، فعليكِ أن تتصرفي على المدى البعيد. ليس ذنبنا أن سنوات الإنجاب الأولى تتزامن مع سنوات النمو الوظيفي الحيوية، ولكن بدلاً من محاربة البيولوجيا، يجب أن ننظر إلى النجاح على المدى البعيد. لقد تعلمت ذلك بالطريقة الصعبة في أواخر الثلاثينيات من عمري - إدارة مهنة دبلوماسية في الخارج، وزوج عامل، وطفلين دون الخامسة، ومنصب عالي الضغط. أصبح ثقل كل ذلك لا يطاق، وانهارت نفسيتي، واستغرقت شهوراً للتعافي ثم احتجت إلى إعادة ترتيب أولوياتي. ومع ذلك، فقد وصلت إلى القمة - فنصل عام في سن 42 عامًا وسفيرة في سن 54 عامًا - مع وقت فراغ أيضًا. الحياة المهنية أطول الآن لأننا نعيش لفترة أطول، لذا فكّري على المدى البعيد، وانظري إلى المستقبل.

5. حددي مساركِ: كوني سفيرةً لمستقبلكِ

مثلما يرسم الدبلوماسيون مسار العلاقات الدولية برؤية واضحة، فإن وجود رؤية لحياتكِ المهنية لا يقل أهمية عن ذلك. عليكِ أن تكوني سفيرةً لمستقبلكِ. وهذا يعني وضع رؤية طويلة الأمد، وخارطة طريق استراتيجية، والتكيف مع التغييرات ببصيرة وحسّ هادف. بعبارة أخرى، تخيلي إلى أين تريدين أن تصلي، وحددي خطواتكِ للوصول إلى هذا الهدف، واجعلي هدفكِ النهائي نصب عينيكِ دائمًا. بالعودة إلى تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة، فإن المبادئ والرؤى التي تبنتها الدولة تحدد أهدافاً واضحة وقابلة للتحقق للمستقبل، حيث يقع ازدهار ورفاهية شعبها في صميم جميع مشاريعها. إذا كنتِ امرأة تعملين في المجال الدبلوماسي، فقد لا تستطيعين تخيل نفسك كسفيرة؛ لأنكِ لا ترين نماذج يُحتذى بها أو لأنكِ تفتقرين إلى الثقة أو ربما لا تجدين الدعم من عائلتكِ أو مجتمعكِ. لكن رسالتي هي: "ما يمكنكِ تخيله تستطيعين تحقيقه".

لم تكن مسيرتي المهنية - مثل الكثيرين - رحلةً يسيرةً. عندما يسألني الناس كيف تحولتِ من طبيبة نفسية جنائية إلى سفيرة كندية، أخبرهم أن ذلك كان جزء منه رؤية وجزء آخر سحر. الجزء الخاص بالرؤية هو أنني لطالما حلمت بالعمل على المستوى الدولي. على الرغم من أنني لم أتمكن من ترجمة خبرتي في مجال التأهيل إلى وظيفة أجنبية، إلا أنني تمكنت من خلال سلسلة من الأحداث "السحرية" السعيدة للغاية من الحصول على وظيفة في منظمة دولية - وزارة الشؤون الخارجية والتجارة الدولية الكندية. والباقي - كما يقولون - هو التاريخ.

الخاتمة: إعادة تعريف نجاح المرأة في المجال الدبلوماسي

على الرغم من أن النساء في السلك الدبلوماسي يواجهن عوائق منهجية وتحيزات ثقافية وتحديات تحقيق التوازن بين العمل وحياتهن الشخصية، إلا أن هذه العوائق من المفترض أن يتم التخلص منها. في السلك الدبلوماسي الكندي قبل عام 1976، كان هناك عدد قليل جدًا من الموظفات في السلك الدبلوماسي، وكان من كسرن هذا الحاجز الأول يعانين من عائق إضافي. حيث كان عليهن ترك وظائفهن إذا تزوجن. لماذا؟ بسبب فكرة أن أزواجهن لن يتخلوا عن وظائفهم ويقبلوا اللحاق بزوجاتهم في الخارج. بالطبع، لم يكن ذلك صحيحًا وكان عائقًا مصطنعًا، واليوم حققت كندا نسبة أعلى من معدل المساواة حيث أن 53% من السفراء من الإناث. وقضت دولة الإمارات العربية المتحدة كذلك على العديد من الحواجز، وباتت نموذجاً ومثالاً يحتذى به في النهوض بالمرأة اقتصادياً وسياسياً.

تتمتع النساء الدبلوماسيات بمكانة فريدة لإعادة تشكيل مجال العلاقات الدولية. عندما تستطيع النساء تمثيل أنفسهن بثقة، والدفاع عن نجاحهن، وإقامة تحالفات قوية، والتفكير على المدى البعيد، وتصور مسارهن إلى الأمام، فإنهن لا يحرزن النجاح في وظائفهن فحسب، ولكن يحدثن فارقًا كبيرًا أيضًا.

حقوق النشر: أكاديمية أنور قرقاش الدبلوماسية 2025.

بيان إخلاء المسؤولية: الآراء الواردة في هذه الوثيقة تُعبِّر عن رأي المؤلف فقط ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر أكاديمية أنور قرقاش الدبلوماسية، جهة اتحادية مستقلة، وكذلك لا تعبر عن وجهة نظر حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.